الشاعر محمد منذر لطفي
تراتيل عشق ، وصرخات ألم

- **مدخل :**

الحديث عن قامة شعرية سامقة، وعندليب يغرد أعذب الألحان، ويتنقل صادحاً من فنن إلى فنن على مدى عقود من الزمن، يحتاج الكثير من الصبر والأناة والتأمل في قصائد خطتها أنامل الشاعر محمد منذر لطفي، وذابت فيها روحه، وانطلقت من معاناته، وعواطفه، ووجدانه لترسم لنا بالكلمات لوحات فنية رائعة مختلفة الأشكال والألوان، صاغتها ريشة فنان ماهرٍ صَنَاعٍ عرف كيف يبدع هذا الفن، ويتقنه.

وقد عرفت الشاعر، وأنا في ميعة الصبا، يلقي قصائده من المنابر الثقافية، وينشرها في الصحف والمجلات... فكان فارس منبر حقيقي يتميز بطلعة بهية، وإلقاء متميز، وحضور لافت.

- **تعريف بالشاعر :**

– ولد الشاعر محمد منذر لطفي في مدينة حماة عام 1935، وعمل ضابطاً طياراً في الجيش العربي السوري حتى أحيل إلى التقاعد برتبة عقيد عام 1972 بسبب نقص الرؤية.

– هو عضو في اتحاد الكتاب العرب بحماة، ورئيس سابق لهذا الفرع مدة عشر سنوات(1991–2001)، وعضو سابق لمجلس الاتحاد بدمشق مدة عشر سنوات أيضاً، وأمين سر رابطة المحاربين القدماء بحماة.

– صدر له منذ عام 1962 ثلاث عشرة مجموعة شعرية للكبار، وست مجموعات شعرية للأطفال، منها ثلاث مسرحيات.

– يكتب بالإضافة للشعر الخواطر والدراسات والبحوث الأدبية، وينشر أعماله في الصحف والدوريات القطرية والعربية.

– ترجمت مجموعته الشعرية الأولى" من رأى العمال ؟" الخاصة بالأطفال إلى اللغة الفارسية، كما ترجمت بعض قصائده الخاصة بالكبار إلى اللغات الاسبانية والفارسية والفرنسية والبلغارية.

– فاز غير مرة بالجائزة الأولى في مسابقات شعرية " قطرية .. وعربية ".

- **ملامح من رؤاه الشعرية:**

قبل الحديث عن الرؤى الشعرية عند الشاعر محمد منذر لطفي، أرى من المفيد أن أوجز القول في البيئة التي نشأ فيها، لما لذلك من أهمية في الدخول إلى حنايا نفسه، وأثر ذلك في شعره.

في حي الأميرية بحماة رأى شاعرنا النور في أسرة عريقة كثيرة الأولاد، وكان أبوه ميسور الحال يعمل بأعمال تجارية وزراعية، وله حضور اجتماعي بارز لما يتمتع به من كرم وحسن طباع، فكان صاحب مضافة يسهر بها كل يوم من يشاء السهر، وأغلبهم من المثقفين ثقافة أدبية تراثية هي السائدة في ذلك الزمن، فيغلب على أحاديثهم الممتعُ المفيدُ من الأمور الأدبية والثقافية. وقد أخبرني الشاعر بأن والده كان ينظم الشعر، ولكن شعره – بلا شك – هو ابن عصره القريب العهد بأواخر العصر العثماني. كما أفادني بأنه تلقى تعليمه الثانوي في ثانوية التجهيز الأولى بحماة، وأخذ اللغة العربية عن أساتذة أعلام كالشاعر العالم عمر يحيى، وعبد الغني الحامد، وفضل شعيب.. رحمهم الله. ودخل دار المعلمين ثم عمل مدرساً للغة العربية في دير الزور... قبل أن يذهب لكلية الطيران.

كل ذلك كان له أكبر الأثر في أن يبدأ الشاعر رحلته الشعرية مجيداً، ويستمر مجيداً حتى اللحظة الراهنة دون أن ينقطع عن كتابة الشعر. وإذا كان الأخطل الصغير قد خانته القوافي ونفرت منه حين تقدم به العمر فقال يشكو :

اليومَ أصبحتُ لا شمسي ولا قمري
مَنْ ذا يغني على عودٍ بلا وتر؟!
ما للقوافي إذا جاذَبْتُها نَفَرَتْ؟!!

رَعَتْ شبابي، وخانتني على كِبَري

فإن شاعرنا لم تنفر منه القوافي بل تأتيه طيعةً لينةً، ولم تخنه على كبره، فبقيت وفيةً له كما كانت وفيةً وهو في ريعان الشباب. وسوف أدلل على ذلك بشواهد من شعره في موضعه المناسب، فكل كلام يفتقر إلى الأدلة يبقى مجالاً للأخذ والرد.

ولا بدمن الإشارة إلى أن الشاعر يعد الآن من الرعيل الأول بين شعراء حماة مع أقرانه محمد عدنان قيطاز، وعبد المجيد عرفة، ومحمد حسن المنجد، وعبد الوهاب الشيخ خليل...وهو الجيل اللاحق للشاعر وجيه البارودي ونظرائه... أضف إلى ذلك أنه شاعر تميز بغزارة الشعر وجودته، فثلاث عشرة مجموعة شعرية للكبار، وست مجموعات للصغار ليس بالأمر الهين اليسير، ولا يتأتى إلا لشاعر نذر نفسه لهذا الفن العظيم.

وما وقع في يدي ثماني مجموعات ليس غير، وهي في اعتقادي كافية للحكم على شعر الشاعر، ومدى شاعريته. وقد أثبتها في نهاية الدراسة.

ودوحة الشاعر دوحة وارفة الظلال، متفرعة الأفنان، متنوعة الثمار، وهو فيها كهزار يطير من فنن إلى فنن، يشدو بأعذب الألحان التي تمثل الرؤى الشعرية عنده، وهي مواقفه من ذاته، والطبيعة، والوطن، والأمة، والكون، والإنسان... فنلمس فيها الدمعة والابتسامة، والحزن والفرح، والبغضاء والحب، والشقاء والسعادة، والحرب والسلام، والليل والنهار،والموت والحياة، والتشاؤم والتفاؤل ... وهل الحياة إلا دمعة وابتسامة ، وحزن وفرح، وموت وحياة ... وما يندرج من ثنائيات كثيرة تنضح بها الحياة؟! فماذا أحب الشاعر فغمرت نفسه السعادةُ؟ وماذا أبغض الشاعر فسكن في نفسه الألم ؟

لقد أجاب شاعرنا عن هذا السؤال بنفسه، فبين أن الحسن والجمال في كل شيء هما شغله الشاغل، واللذان يستوليان على قلبه حيثما وجدا، فهو عاشق للحسن والجمال عشقاً رومانسياً يبدو جلياً في قوله:

أنـــا عاشـــق الحســـن .. أهـــوى الجمـــا

لَ حبيبــاً تثنــى ... وكرمــاً حــلا

وروضـــــاً خضيـــــلاً .. ثَـــرِيَّ الـــوِرا

دِ وغصــناً أفــاق ... وطيــراً شــدا

ولـــــــيلاً تمـــــــاوج بالعاشـقيـــــــ

نَ حبـا الكـلَّ مـن سـحره مـا حبـا

هــو الحســن أهــدى ضــمير الوجــو

د مفــاتنَ شــتَّى ... تلــفُّ الــدنى

فســبحانَ مــن صــاغه فــي " دمشــ

قَ"، وسبحانَ من صاغه في "حما"

[أمطار الربيع الدافئة ص : 39-41]

أ – حب الطبيعة وحماة في شعره :

وقد وجدت في مجموعاته الشعرية شعراً كثيراً في عشق الطبيعة، ولجوئه إليها، وهيامه بها حتى نشعر بأنها معشوقته المغناج. فقصيدة لمصيف الزبداني، وأخرى لجمال نهر" بردى"، وثالثة لوصف سحر " اللاذقية "، ورابعة لـ " حمص " وشاعرها " ديك الجن " .... ومن تلك القصائد ما تغنى به بمساء ربيعي جميل جاء فيها :

أهيمُ بهذا المساء الربيعي ... أهوى الصباحَ

وأهوى عصافيرَهُ واللحونْ

أهيم بهذا الجمال الفريد الذي راح ينشر عطر الوِرَادِ

مع الزيزفونْ

وأعشق سحرَ ليالي الربيعِ ...

تضيء قناديلها بالمسراتِ

تحلو مساءاتها بالجمالاتِ

تعبقُ أنفاسُها بالفتونْ

وتزهو صباحاتُها بالزنابقِ ... والفُلِّ ... والياسمينْ

[الدخول إلى مملكة الحب : ص 137]

وكيف لا يهيم الشاعر بالطبيعة وسحرها، وقد نشأ في رياض العاصي، وتفتحت عيناه على مجاليها البديعة، واكتحلت بمْرِوَدِ جمالها، وسكبت نواعيرها في مسمعيه ألحانها الخالدة، ولقنته عنادلها أحلى المناغاة، وعلمته الانطلاق في أجواء الحرية والنور والجمال؟ لذلك لا غرابة أن يعبر عن حبه لـ " حماة " وقد أخذ هذا التعبير حيزاً عظيماً في مجموعاته، فكانت قصائده فيها كثيرة العدد، ومن تلك القصائد واحدة بعنوان ((أغنية رومانسية لمدينة النواعير)) يتغزل بها كمعشوقة غزلاً يذوب رقةً وعذوبة، وتتهادى ألفاظها وقوافيها ومعانيها وصورُها غُنْجاً ورشاقة، فتكتسي حُلَّةً لا أبهى ولا أجمل. يقول :

منكِ الدلالُ .. ومن روحي أغانيها
يـا جنـةً تعشـقُ الـدنيا مغانيهـا

أظـل يلفحنـي شـوق .. ويغمرنـي
حـبٌّ لأنسـام واديهـا و " عاصيها "
"حمـاة" فـي خـاطري لحـن وأغنيـةٌ
وفـي ضـميري صـبابات أعانيهـا
وفـي فـؤادي ذكـرى كلمـا خَطَـرتْ
رفَّـتْ علـى الثَّغْـرِ أشـعاراً أغنيهـا
يا حلوةً ضمَّها العاصي على مَهَلٍ
وغـازل البـدرُ فـي صـمت روابيهـا
لأنـتِ يـا بلـدَ الأطيـاب يـا بلـدي
أغلـى علـيَّ مـن الـدنيا ومـا فيهـا

[قصائد للوطن والحب والإنسان : ص 84-85]

وفي قصيدة ثانية بعنوان : ((حماة بلدي)) قدم لها الشاعر بقوله : لعل أجمل ما كتب الشاعر السوفييتي المعاصر " رسول حمزاتوف " ديوان (داغستان بلدي)، معبراً شاعرنا عن حبه العميم لـ ((حماة)) وما فيها من مفاتن رائعة تسحر الألباب، وتستولي على العقول والقلوب . جاء فيها :

بلــدٌ طيــبٌ ... وشــعب أصــيل

نَهَــرٌ ضــاحك .. ودنيــا بتــولُ

قمــر عاشــق .. ونجــمٌ لعــوبُ

أنـــا بالبـــدر والنجـــوم قتيـــلُ

وكـــرومٌ مضـــيئةٌ .. وجِنـــانٌ

وحِسَـــانٌ شـــبابُهن قتيـــلُ

وبســـاتينُ نَـــوَّرَتْ كـــاللآَّلي

ونســـيمٌ زَفَّ الطيـــوبَ عليـــلُ

[الدخول إلى مملكة الحب : ص 131-132]

ثم نجده يستعين بالتاريخ ليدلل على أصالة أهلها، ورفضهم الاستعانة بالأجنبي على الوطن وأهله، وذلك حين رفضوا دعوة امرىء القيس للاستعانة بالروم ثأراً لمقتل والده :

مرَّ يوماً بها امرؤ القيس يبغي

ملكـــه جاهـــداً فعـــزَّ الســـبيلُ

لـم تبـارِكْ خطـاه فـي نجـدة الـرو

م فهـــذا أمـــرٌ خطيـــرٌ جليـــلُ

إنمـــا باركـــت قريضـــاً فريـــداً

لا يدانيـــه فـــي القـــريض مثيـــلُ

[الدخول إلى مملكة الحب : ص132]

وبعد هذا وذاك نراه يمجد نضال أهلها، وكفاحهم المستعمر الفرنسي والغزاة قبله حتى تحقق النصر، وتحرر الوطن العظيم . يقول :

هي شمس الكفاح إن أظلم الخط

بُ ووافـــى دُجـــى الغـــزاة الثقيـــلُ

هزمَـــتْ ألـــفَ طـــامعٍ وأبـــادَتْ

ألـــف مســـتعمرٍ أتاهـــا يصـــولُ

شـــاركت شـــعبنا الجـــلاءَ وراحَـــتْ

تضـــربُ الليـــلَ ، فـــالظلام فلـــولُ

[الدخول إلى مملكة الحب ص 133]

ب – الأسرة في شعره :

وأما أسرته فتحظى بنصيب كبير من حبه الذي عبر عنه في بعض القصائد، فالزوجة والأبناء هم البلسم الذي يشفيه من الآلام والهموم التي تحيط به، وهم الملاذ الآمن الذي يشكو له، وملجأ إليه يفيء بظله عند اشتداد الهاجرة. وحين ادلهمت عليه الخطوب، وهو بعيد عن أسرته كتب قصيدة ((ثم أزهر السراب)) جاء فيها :

إليكِ ربيعَ أيامي .. وحبي الرائعَ الألوانْ

إليكِ ((نوالْ))

إلى الأطفالْ

أحييكِ .. أحييهمْ .. برغم الليلِ والأحزانْ

أنا أسألْ

عن الأطفال.. عن ((تمام)) .. ((عن أَنَسٍ)) أنا أسألْ

وعن ((تغريد))..عن عصفورةٍ سمراءَ تغفو في عيون ((سماحْ))

وعنكِ ((نوالَ)) .. عن بحر اللآلىءِ عنْ

كرومِ اللوزِ .. والأعنابِ .. والتفاحْ

[الموت في شباب النهار ص 66 – 69]

ثم هو في قصائد كثيرة يعبر عن حب لا يجاريه حب لزوجه الفاضلة السيدة الشاعرة ((مروة)) وفي أغلب تلك القصائد كان يسميها(ليلى). ومنها قصيدة (الناي العاشق) التي يقول فيها:

هي الأنثى التي تهواكَ .. تهوى شِعرَكَ الفتَّانْ

وتهوى فيك رُوحَ الطفلِ .. تهوى النبْلَ والإنسانْ

هي الأنسام والأحلامُ والصبوَهْ

هي الأزهارُ والأقمارُ

والأفقُ الجميلُ يضمُّ وردَ السَّهلِ والرَّبْوَهْ

فسبحان الذي أجرى عواطِفَها... فكانتْ في الهوى ذُرْوَهْ

وكانت في دروب الشِّعْرِ ناياً عاشقاً يدعونَهُ (ليلى)

وبَوْحاً آسِراً .. يدعونَهُ ((مَروَه))

[الدخول إلى مملكة الحب ص 68–69]

ولابد أن أقول هنا إن الاتجاه الأسري في تراثنا الشعري كان قليلاً بل نادراً، وهذا ما أُخِذ على شعرائنا العرب، حتى جاء عصر النهضة، وأدب المهجر فبدأ هذا الاتجاه يظهر في الشعر الحديث والمعاصر .

ت – الشاعر والمرأة :

وأما حب الشاعر للمرأة عامة في شعره، فقد رأيته حباً عظيماً استولى على قلبه وعواطفه ووجدانه، وكان هاجسه الذي لا يفارقه فشغَلَ حيّزاً كبيراً من قصائده. وقد تنوع اتجاه هذا الحبِّ بين الحبِّ العفيف، والغزل الشفيف البعيد عن الوصف الحِسّيّ للمرأة، كما هو الحال في الغزل العذري. وبين الغزل العمري الذي كان يطارد

المرأة حيثما وجدت، ويهفو لها أينما كانت ويصف جمالها، ومفاتنها وصفاً حسياً قائماً على العلاقة الجسدية دون أن يصل إلى الوصف النزاريّ.

ومما ورد من حب عفيف، وغزل شفيف قصيدة (موسم الذكريات) وجاء فيها :

أحبُّكِ – ما عشتُ – يا حلوتي

ولا أملك – الدهرَ – عنكِ البديلْ

وأهواكِ حسناً يُجيد الدلا

لَ، وأهواكِ مُهْراً يُجيدُ الصهيلْ

تغار البساتينُ من ناظريـ

كِ، ومن شفتيكِ تغارُ الشَّمُولْ

فأنتِ ربيع الصِّبا والجما

لِ وأنتِ حكاية حب بتولْ

تزول الحياةُ وشمسُ الحيا

ةِ، وحبكِ من خافقي لا يزولْ

[قصائد للوطن والحب والإنسان ص 131-132]

وفي مواضع أخرى يصف لنا مغامرة صارخة وصفاً صريحاً كما فعل مع مصطافة على البحر أغرته بمفاتنها السافرة فكان ما كان. يقول :

تعرَّت والهوى كأس شهي

تعاطاه الأُلي عبرَ الدهورِ

وراحت تنثر الإغراء حيناً

وأحياناً أفانينَ العبيرِ

أشارت لي بألحاظ كُسالى

عذارى السحرِ.. تنهل من غروري

دنت فارتَجَّ نهداها .. وهاجا

وماجا فوق أمداء العطورِ

وأرْخَت شَعْرها الليليَّ حتى

طغى فوقَ الوسادةِ كالغديرِ

فغالبني الحياء .. ورمْتُ بعداً

مخافةَ أن يعاودني فجوري

مخافة أن أعيش الإثمَ فيها

ولكني وقعتُ على السَّريرِ

[أمطار الربيع الدافئة ص 84-87]

كما وصف الفتيات السابحات في مصبح ((فينيسيا)) قرب الزبداني وهن يلعبن في الماء ويتراشقن به قائلاً :

و " فينيسيا " ملعب الغانياتْ

طَلَعْنَ عليه طلوعَ الضُّحا

تضاحَكْنَ لما نَضَيْنَ الثيابْ

ورُحْنَ يَمِسْنَ بعُرْيٍ الصِّبا

خَطرْنَ بَدلٍ .. وأقبلْنَ نحو الـ

مياهِ التي قهقهتْ في شجى

تراشَقْنَ بالماء لمَّا نَزَلْنَ

إليه وعِمْنَ به فانتشى

ورُحْنَ يغمِسْنَ أجسادَهنَّ

فراحَ يَعُبُّ كنوزَ السَّنَا

فأينَ الشريعةُ والغانيات

وأين ((حماةُ)) و ((عاصي حما))

[أمطار الربيع الدافئة ص 26-27]

وبعد هذا الشغف العظيم بالحب، والمرأة، والجمال يصاب الشاعر بأسًى شديدٍ على ضياع الشباب، ويتألم أشد الألم لدخوله في خريف العمر فنراه يصرخ قائلاً :

أين ربيع العمر .. أين الشبابْ؟

وأين أعياد السَّنا .. والملابْ؟

غابت أغاني الحب .. غاب الصدى

فابك الصدى يا قلب وابكِ الغيابْ

أين طيوب الروض؟ أين الوريف؟

وأين أعراس الهوى .. والطيوف؟

قد حَطَّمتْ فأسُ الزمانِ الصِّبا

فاشتعل الرأسُ .. وحلَّ الخريف

[الدخول إلى مملكة الحب ص : 174 - 175]

ث - الشاعر والمجتمع :

مع حب الشاعر العظيم لوطنه، وبيئته، ومجتمعه الذي يعيش فيه انتقد أشد الانتقاد ما كان يسوده من عادات سيئة، وتقاليد بالية تأتي عليه بنتائج سلبية، فدعا إلى الخلاص منها كي يكون سليماً معافى يغذ الخطا سريعاً نحو الرفعة والعلاء والتقدم، بنبذ الكسل والجهل والتمسك بالعادات البالية. يقول في قصيدة (من رباعيات خيام معاصر):

سألت شيخاً فرَّ منه الشبابْ

وقد توارت شمسُه في الحجابْ

عن بؤسنا في الشرق عن ضعفنا

فلم يُجِبْ .. والصمتُ أقسى جوابْ

لكنني من بعد طول العناءْ

أدركَت أن الجهل أصلُ الشقاءْ

والكسلُ المزمن في ذاتِهِ

يورِّث الفقرَ .. ويمحو الرخاءْ

[تداعيات بين أيدي أبي العلاء المعري ص : 39-40]

وفي قصيدة أخرى يقول :

سـئمت الحيــاة .. حيــاة القيــود

ســئمتُ النحــوسَ بهــا والسُّــعودْ

ومــلَّ فــؤادي حــديث الأنــام

فزيــدٌ لئــيمٌ ، وعمــرو حقــودْ

[المصدر السابق ص : 23]

وفي قصيدة ثالثة من ديوانه (من أغاني المطر) ألم شديد، ودعوة صارخة للتخلص من تلك العادات بثورة تحطم قيودها.يقول:

ألمٌ راح يعصف في نفسي الشقِيَّهْ

راح يجتاح بروحٍ فوضويَّهْ

عالمي المغلقَ .. أفكاري .. متاهاتي العَصِيَّهْ

راحَ يجلو عن ضميري كل زيف وطلاَءْ

قد ضقت ذرعاً بالمفاهيم العتيقهْ

بالتقاليد التي يمضغها الناس النيامْ

بالأباطيل التي تحرقهم من ألف عامْ

يا صديقهْ

إنني أكسر هذا اليوم آلافَ القيودْ

إنني أبحث عن عينيكِ عن سر الوجود

إنني أبحث عن دنياي عن دنيا الحقيقَهْ

[من أغاني المطر ص : 29-30]

ورصد الشاعر ما في المجتمع من فقر مدقع، وثراء تجمع في أيدي جَهَلةٍ أخذوا ينثرون أموالهم للغانيات دون أن يلتفتوا بشيء منها للفقراء المساكين، فوجه سهام نقده لهؤلاء متألماً مما يقومون به في قصيدة (بيني وبين المجتمع)، يقول فيها :

ومجتمعـــي حـــلَّ الفســـادُ بأهلـــه

فـراح يعـيش العمـر لـيلاً .. بـلا نجـمِ

تعالَ معي.. نمشي الهوينا بشارع

لـنعلم كـم فيــه مـن البـؤس والظلـمِ

هنـــاك فقيـــرٌ عَضَّـــهُ نـــابُ دهـــره

وســاقته أيـدي النائبـات إلــى السُّـقْمِ

ولكــن إذا الغيــدُ الحســانُ تبرَّجَــتْ

ومرَّت، ترى الأعنـاق مُدَّتْ مـن القومِ

غـدَوْا لـرخيصِ الحسـنِ ثَغْراً ومُقْلـةً

وراح ظـــلامُ الجهـــل يهـــزأ بـــالعلمِ

لقــد هجــروا الأخــلاق إلاَّ أقلَّهــم

وبـات فسـادُ الطبـعِ فـي اللحـمِ والعظـمِ

[تداعيات بين يدي أبي العلاء المعري ص: 87-90]

ج – الشاعر والواقع العربي :

يبدو الشاعر في قصائده قومياً بجلاء، فيتألم كثيراً لما أصاب الأمة العربية في حرب حزيران عام 1967 من هزيمة في الحرب التي شنها عليها العدو

الصهيوني... ورأى أن قوة الصهاينة سببها التشرذم العربي، فدعا لوحدة عربية تشد أزر العرب بالقوة، والجيش القادر على تحطيم غطرسة الصهاينة. يقول في قصيدة (قراءة معاصرة في كتاب تشرين) :

هتفـت للوحـدة الكبـرى تجمّعنـا

يعانق "النيـل" فـي أعراسـها "بـردى"

هتفت للجيش إعصاراً وصـاعقةً

يزلـزل "الـلاتَ" و"العُزّى" ومـن عبـدا

[قصائد للوطن والحب والإنسان ص : 34]

ويَأْسُ الشاعر من واقع العرب المتردي، وضعفهم أمام العدو الصهيوني، جعله يدعو المهدي المنتظر للظهور كي يتحقق النصر على يديه، ويثأر للقدس والكرامة العربية. يقول في ديوانه (حوار مع المهدي المنتظر) :

يا بلادي .. يا بلاد العرب .. يا مهد البطولَهْ

آن للمهديّ أنْ يولَدَ من قلب لياليك الثقيلَهْ

آن للمهدي أن يولد من قلب الدياجير المقيمَهْ

آن أن يولد من بحر المتاهات .. ومن روح الهزيمَهْ

ليرى أنا أضعناه بسيناء وفي الجولانِ...

في القدس القديمَهْ

ليرى أنا أضعناه .. أضعنا سيفنا البتارَ في ليل الجريمَهْ

[حوار مع المهدي المنتظر ص : 36-37]

وكان للشاعر ما أراد في حرب تشرين التحريرية عام 1973 التي انتصر فيها العرب على العدو الصهيوني، فحطموا غطرسةالصهاينة، وأعادوا للعرب كرامتهم المفقودة في حرب حزيران. يقول في قصيدة (مع المتنبي على مشارف القرن الحادي والعشرين):

وجـــاء تشـــرين يجلـــو رانَ أمتنـــا

يعيـد للعُـرْب وجهـاً كـان محتجبـا

لا يغسـل العـار إلا الثـأر يـا وطنـي

فجـرّدِ الماضـيَيْن السـيفَ والغضـبا

جيشٌ بسيناءَ يردي البغيَ فـي ثقةٍ

وآخـر فـي ذرا الجـولان قـد ضـرَبا

[الدخول إلى مملكة الحب ص : 162]

ولكن، ومن أسف شديد، وبعد حرب تشرين أخذ بعض الحكام العرب يلهثون وراء العدو الصهيوني لإبرام اتفاقيات سلام، ناسين أن هذا العدو لا يفهم إلا لغة القوة. يقول:

مضوْا إلـى السلم فـي تيـهٍ وفـي عجَبٍ

فصحتُ – من هول مـا أبصرتُ– واعجبا

مـــاذا جـرى لبنـــي قـــومي .. وأغربُـــه

أن الإخـــاءَ غـــدا فـــي عـــرفهم خُطَبـــا

عـدوُّهم قـد أبـاد الحـرثَ مـن زمـن

والنســلَ .. حتـــى غـــدا تـــاريخهم خرِبـــا

[الدخول إلى مملكة الحب ص : 163]

ولهذا لابد أن يدعو الشاعر العرب لصحوة تعيدهم لطريق النضال مع العدو الصهيوني، ويرى في (الشام) المرتجى والأمل بتحقيق النصر. يقول:

أفيقـوا يـا بنـــي قـــومي أفيقـــوا

أنـــا لكـــم المحـــذِّرُ .. والنـــذيرُ

متـــى تغشَـــوْن ســـاحات المعـــالي

فتســـتبقُ الســـواعِدُ والصـــدورُ

لــدرءِ الــذل عــن وطــن كــريمٍ

فــلا يرقــى العُــلا إلا الجســورُ

لقـد سـقط القنـاعُ عـن الجـواري

ووجــه " شــآمنا " حــرٌّ نضــيرُ

ولـولا الشـام يـا وطـن المعـالي

لغــاب صــمودُ أمتنــا المريــرُ

[الدخول إلى مملكة الحب ص : 194]

ولابد أن يعود بعض الحكام العرب من دول البترودولار لجادة الصواب، وعدم تنفيذ ما يملى عليهم من سياسات خارجية، لم يجنِ منها العرب – ومنها سورية – إلا الويلات ... فنزف جراحنا سببه سياسة هؤلاء الحكام. يقول في قصيدة (من رباعيات خيام معاصر):

شعريَ ذاتي ..... والصبايا وشاحْ

موسمه الور ..... دُ، نجمُ الصباحْ

إن ترَ فيه اليو ..... مَ بعضَ الأسى

فإنَّ هذا " البَعْ ..... ضَ" نزفُ الجراحْ

[تداعيات بين يدي أبي العلاء المعري ص : 34]

- **ج – الشاعر والكون والإنسان:**

لقد بان لي من خلال قراءتي للشاعر محمد منذر لطفي اتساعُ علاقاته الإنسانية،وذلك بما كتبه من قصائد كثيرة رثى بها أصدقاءه، وأحبته الراحلين،وقصائد أخرى عبر فيها عن وداده لبعض الأصدقاء الذين لا يزالون على قيد الحياة ومن هؤلاء الشاعر محمد عدنان قيطاز... والشاعر الطبيب وجيه البارودي...

وقد رثى الشاعر الكثير من الشعراء والأدباء والأعلام، دالاً على طيب أرومته، وكرم نفسه... كالشاعر الطبيب وجيه البارودي، وحامد حسن، وسهيل

عثمان، وعلي دمر، ووليد قنباز، ومدحة عكاش، وآخر هذا الرثاء كان للدكتور مصطفى العلواني.

وإذ تمر بنا هذه الأيام ذكرى رحيل المفكر الأديب سهيل عثمان – رحمه الله – أورد بعض ما كتبه شاعرنا في رثائه بذكرى أربعينه. يقول :

ألا يـــا أيهـــا الثـــاوي ســـلاما

فقـــد كنـــتَ المهـــذَّبَ والوَفِيـــا

تحـــب المخلصـــين وتقتـــديهم

وتحتقـــر الصـــديق الخُلَّبيـــا

وتوسِـــعُ "بالأنـــا" ذمـــاً وبغضـــاً

وتمتـــدح الغيـــور الأريحيـــا

طلعـــت بليلنـــا قمـــراً ســـنيا

وتبقـــى ذلـــك القمـــرَ الســـنيا

فمثلُـــك مـــن تشـــيعه القـــوافي

وتبكيـــه المجـــرَّةُ والثريـــا

[جميلة هي الحياة ص : 150]

ثم نجد الشاعر يبث هذا المفكر الألم والشكوى من الغلاء، وهموم الحياة اليومية، واشتعال الحروب، ويسأله إن كان لهذه المنغصات وجود في العالم الآخر. يقول:

أبـا محمـودَ هـاتِ اليـومَ حَـدِّث

عـن الأخـرى، وقـل للصـحب شَـيَّا

أيوجـد عنـدكم شـرق وغـرب

وحـــرب تمـــلأ الـــدنيا دَوِيَّـــا

وهـل مـرَّ الغـلاء بكـم عَبُوسـاً

فأنشـــب فـــيكمُ نابـــاً عتيـــا

لعلكـــمُ نســـيتمْ كـــلَّ هَـــمٍّ

فبـــات العـــيشُ عنـــدكم هنيـــا

عجبـــتُ لمـــا تقدمـــه الليـــالي

فقـــد أهـــوَتْ مطارقَهـــا عَلَيَّـــا

وبـــين الهـــم يـــا دنيـــا وبينـــي

صِـــــلاتٌ لا أزال بهـــــا شـــــقيا

[جميلة هي الحياة ص : 145]

ومما كتبه في الشاعر الطبيب وجيه البارودي في حفل تكريمه عام 1975 قصيدة بعنوان (هذا هو الشعر) بَيَّن فيها شفافية هذا الشاعر في الغزل وقصائد الحب، حتى تمكن من استمالة عقول الناس وقلوبهم بما بلغه من إبداع شعري ساحر، كما بين فيها أهمية الوفاء بين الأصدقاء، وضرورة أن يسود في الشعر الصدق والخلق الرفيع. يقول:

فرشتَ درب الغواني السحرَ ... والخدرا

ورُحْتَ تبدع لحنَ الحبِّ ... مبتكرا

فكنتَ في موكب الأيام ... أغنيةً

يا شاعراً أسكر الدنيا ... وما سَكِرا

بيني وبينَكَ عهدُ الشعر أمنحُهُ

لمن يصون هوى الخِلاَّنِ إنْ ذُكِرا

فالشعر عنديَ أخلاقٌ تموج رؤى

قدسِيةً .. وخِصَالٌ تسفحُ الدُّررا

[أمطار الربيع الدافئة ص : 149-152]

وحب الشاعر للإنسان جعله يدعو لإنسانية واسعة عريضة يعيش الناس من خلالها بسلام إخوةً متحابين دون النظر إلى لون، أو جنس، أو عرق، أو دين ... فلماذا هذه الحروب المدمرة القاتلة؟ ولماذا لا يسود السلام في شتى بقاع الأرض؟

لقد كان استعمال الذرة من قبل أمريكا في قصف مدينتي (هيروشيما) و (ناغازاكي) اليابانيتين في الحرب العالمية الثانية، جريمة كبرى بحق الإنسانية، ووصمة عار في جبين صانعيها ومستخدميها... وقد كتب الشاعر قصائد كثيرة في هذا الموضوع مما يدل على حسه الإنساني الشفيف، ودعوته البشر جميعاً للسلام. يقول في قصيدة (غول العصر) بمناسبة ذكرى قصف اليابان بالقنابل الذرية:

أطلقوا الماردَ في يومٍ عبوسٍ قمطريرْ

فوقَ أطفال (هيروشيما) الكئيبَهْ

فوق أزهار (ناغازاكي) الحبيبَهْ

فجرى فوق الثرى الواجفِ حفارُ القبورْ

وبكتْ في حَسْرةٍ زُهْرُ النجومْ

ألفُ تاريخٍ مضى في باطنِ الأرضِيغورْ

وبكينا قصة الإنسان .. أمجادَ الحضارهْ

وبكت أجيالنا ... أطفالنا سوءَ المصيرْ

[الموت في شباب النهار ص: 94 – 95]

ثم يدعو الشاعرُ المرهفُ الحس الغربَ الذي يَدَّعي الحضارة والإنسانية، لاستعمال الذرة في الأغراض السلمية المفيدة للبشرية جمعاء، فيصرخ بأعلى صوته:

يا أخي في الهند .. في باريسَ .. في كل البقاعْ

يا أخي في عتمة الدربِ ... وفي ليل الضياعْ

ارفع الصوت لكي تستخدمَ الذرةُ في حقل السلامْ

ارفع الصوت لكي ينقشع الغيمُ الموشَّى بالحِمام

[الموت في شباب النهار ص : 92-93]

وهنا قد يسأل سائل: كيف دعا الشاعر العربَ لحرب العدو الصهيوني، ورفضِ معاهدات السلام، وكيف دعا لأن يعيش البشر بسلام؟ أليس في هذا تناقض عنده؟

أقول: لا، لأن دعوته للسلام هي دعوةٌ لسلام الكرامة، لا الذبِّ والاستسلام... والحربُ قد تكون ضرورةً لتحقيق الكرامة، وضرورة للحياة الحرة الكريمة كما هي في قولِ شاعرنا القديم:

تأخَّرْتُ أستبقي الحياةَ فلم أجِدْ
لنفسي حياةً مثلَ أَنْ أتَقَدَّما

وقولِ الآخر:

إذا لم تكنْ إلا الأسِنَّةُ مركباً
فما حيلةُ المضطرِّ إلاّ رُكوبُها

وقد كان شاعرنا يكره سوء الطباع في بعض الأصدقاء، كالتلوُّن، والخداع، والحسد، والغدر، وعدم الوفاء، ومن ذلك مديحه للشاعر الكبير بدوي الجبل بحفظ وداد الأصدقاء. يقول:

إنـــي عرفتُـــك حَفَّاظـــاً مودَتنـــا
والـبغضُ محـضُ صِـلالٍ قـد عـرفتُهُمُ
إن شـــاهدوكَ أفاضُـــوا بســـمةً كَـــذِبا
وإنْ بَعُـــدْتَ، فغـــدرُ الـــذئب غـــدرُهمُ
مـــاذا أقـــولُ وقـــد لاحَـــتْ ســـرائِرُهم
فـي غفلـةٍ... فأبـانُوا بعضَ مـا كتمـوا
دَعْهُمْ فقد جِئْتُ أشدو الأكثرينَ سناً
الخالـدين... وإن بعـضُ الـورى ظَلَمُـوا

- **خ – الشاعر والشعر:**

لا يجوز أن يتجرأ على الشعر– هذا الفن العظيم – أي عابث بدعوى الحداثة، لأن هذا الفنَّ لا يسلِسُ قيادَه إلا لمن توافرت فيه الموهبةُ، والتمكنُ من أشكالهِ وأنواعهِ، ولغتِه، وأوزانه... وقد تألم شاعرنا كثيراً من المتشاعرين الذين أساؤوا للشعر فكتبوا تهويمات غامضةً كالطلاسم، وقالوا هذا هو الشعر... فكان ما كتبوه غثاً هزيلاً لا لون له ولا طعم... يلفه الغموض الذي شَرَّعوه دون أن يدري هؤلاء بأن الدعوة للغموض في الشعر، هي دعوة مشبوهة وقف خلفها أدباء ومثقفون من الغرب، كما وقف غيرهم خلف شعارات أخرى كالعولَمة... وتفجير اللغة من الداخل.. والسريالية.. والتكعيبية ... والعامية... والتفكيكية، وغير ذلك مما غزانا به الغرب غزواً ثقافياً، وأذعنا له طائعين.

وفي أدعياء الحداثة قال الشاعر مخاطباً المتنبي في قصيدته (مع المتنبي على مشارف القرن الحادي والعشرين) :

ماذا عن الشعر ... ماذا عن مسيرته

ماذا عن الآل والهذر الذي اصطخبا

تَحلَّل اليومَ من فنٍّ .. ومن نغمٍ

ولفَّه ألف معنى مظلم .. فخبا

غدا هزيلاً بلا صدر وأجنحة

ولا رأيتُ له ريشاً .. ولا زغبا

ولا شَهِدْتُ له فرعاً يلوذ به

ولا عرفتُ له أصلاً .. ولا نسبا

باسم "الحديث" استباحوا كلَّ فاحشةٍ

وأمعنوا الهدم .. كانوا شرَّ من سَلَبا

إن "الحديث" براء من حبائلهم

فاحذر حديثاً يجرُّ التيهَ والنوبا

[الدخول إلى مملكة الحب ص : 160-161]

ولكن شعر التفعيلة هو الشعر الحديث، ومنه المشرق الجميل الذي يكتبه شعراء امتلكوا الأصالة، وأثبتوا ذاتهم قبل ذلك بكتابتهم شعر العمود. يقول:

بعض "الحديث" متاهات يصول بها

سرب البغاث، وهذا كل ما جلبا

وبعضه مشرق كالشمس.. مؤتلق

يزهو "القديم" به فخراً إذا انسكبا

تخالـــه لمعـــانٍ فـــذةٍ ... ورؤىً

أخا "الأصيل" سهولاً خصبةً ورُبَا

[الدخول إلى مملكة الحب ص:161،

وينظر أيضاً ص: 184-185]

4 – خاتمة :

وبعد هذه الجولة الموجزة في شعر الشاعر محمد منذر لطفي، لعلي أكون قد وُفِّقْتُ في رسم الرؤى الشعرية لشاعر متميز نذر حياته لهذا الفن الرائع والصعب في آن معاً، هذا الفن الذي تجسَّد فيه شعوره، وأحاسيسه وعواطفه، يرق إذا رق، ويعذب إذا عذب، ويصفو إذا صفا، ويحزن إذا حزن، ويغضب إذا غضب، ويثور إذا ثار، ويتألم إذا تألم، ويصرخ إذا صرخ. كما تجسد في شعره حبه للوطن، والأمة، والالتزام بقضاياهما.

وقد ذكرت في الدراسة أن شاعرنا رومانسي النزعة في حبه للطبيعة، والأسرة، والمرأة، والحسن والجمال.. صاغ ذلك بيراع شاعر متمكن من أدواته، فلغته ومفرداته ثَرَّة وغنية وأنيقة يختارها الشاعر بعناية فائقة، وصوره جميلة محلقة فيها الكثير من الطرافة والإبداع، ومعانيه مشرقة واضحة لا تكلف فيها... وعليه فإنني أرى شعره من المدرسة الإبداعية الجديدة، وهي نزعة تأخذ من الرومانسية والرمزية أحسن ما فيهما، فتجمع بين جدة التعبير ،وحسن التخيل، وإشراق المعاني جميعاً، وتجعل للشعر رونقاً

جميلاً في شكله، وروعة تصويره، ومعانيه. وذلك هو الشعر الذي وصفه النقاد بأنه المعنى الرائع في اللفظ الرائع.

- **مصادر الدراسة:**

1 – أمطار الربيع الدافئة. شعر محمد منذر لطفي .ط1 ، دار الثقافة 1976 .

2 – تداعيات بين يدي أبي العلاء المعري . شعر محمد منذر لطفي ط1 . اتحاد الكتاب العرب . دمشق 1993 .

3 – جميلة هي الحياة . شعر محمد منذر لطفي . اتحاد الكتاب العرب . دمشق 1993

4 – حوار مع المهدي المنتظر . شعر محمد منذر لطفي . ط1 . دار الثقافة . دمشق 1975 .

5 – الدخول إلى مملكة الحب . شعر محمد منذر لطفي . اتحاد الكتاب العرب . دمشق 2006 .

6 – قصائد للوطن والحب والإنسان . شعر محمد منذر لطفي . اتحاد الكتاب العرب . دمشق 2003 .

7 – من أغاني المطر. شعر محمد منذر لطفي ط1. دار الثقافة. دمشق 1975 .

8 – الموت في شباب النهار. شعر محمد منذر لطفي. ط1. 1979.